التأثير العربي الإسلامي على شرق أوربا
من خلال رحلة الغرناطي :
(تحفة الألباب ونخبة الاعجاب)

أ.د.محمد كريم إبراهيم الشمري
عميد كلية الآداب / جامعة القادسية

الخلاصة :

بعد أكثر من قرنين على رحلة ابن فضلان زار شرق أوربا ومنها بلاد البلغار ، الرحالة العربي أبو حامد الغرناطي منطلقاً من بغداد ، ووصل بلغار سنة ٥٣٠ هـ/١١٣٥م ، وكان دوره متميزاً في تعميق مبادئ الإسلام ، وتصحيح كثير من الأمور المتعلقة بالدين خلال رحلته التي شملت بلاد الخزر والصقالبة (الروس) والباشغرد ، والتقى بآلاف العرب المسلمين في تلك الأصقاع من أبناء المغاربة وأهل بغداد ومكة ، فكان يُعلمهم أصول الدين والشرائع والمواريث ، وبذلك استمرت الصِلات بين بلاد البلغار والدولة العربية الإسلامية ، وأدى ذلك إلى امتداد الإسلام في مناطق نائية ونقل الكثير من المؤثرات العربية الإسلامية إليها في القرون المتأخرة .

مقدمــة :

يعد هذا البحث نموذجاً لحوار الحضارات الإنسانية ، متمثلاً في الحوار العربي الإسلامي مع شرق أوربا وتأثيراته المختلفة ، مؤكدين حقيقة واقعية ماثلة للعيان- على أرض الواقع - حتى وقتنا الحاضر ، هي عالمية الإسلام وانتشاره في كل أرجاء المعمورة . كما يفسر لنا ذلك تسامح مبادئ الإسلام وقيمه الإنسانية التي تصلح لكل زمان .

انتشر الإسلام في أنحاء العالم عبر طرق ووسائل عديدة ، بواسطة التجار الذين كانوا يؤدون دوراً مزدوجاً في ممارسة التجارة والدعوة إلى الإسلام . وكان معظم هؤلاء التجار دعاة متطوعين لنشر الإسلام ، أصبحت تصرفاتهم وسلوكهم مثالاً وقدوة حسنة للمسلم الملتزم ، فضلاً عن دور الاستقرار العربي الإسلامي ، نتيجة ممارسة التجارة التي تستدعي الاستقرار ومتابعة النشاط التجاري بفعالياته المختلفة ، فكان الزواج (المصاهرة) بين المسلمين الوافدين للعمل في التجارة وسكان المناطق التي تاجروا معها عاملاً آخر من عوامل انتشار الإسلام ، وهذا يعد أنموذجاً للحوار الحضاري وما ينجم عنه من تأثير وتأثر في اللغة والعادات والقيم والتقاليد ...الخ، وأخيراً كان للحملات العسكرية والفتوحات العربية الإسلامية دورها في نشر الإسلام، ضمن المناطق التي ضمتها الدولة العربية الإسلامية في مختلف العصور التاريخية تحت سيادتها ، وانتقال مظاهر الحضارة العربية الإسلامية بعد فتحها .

سنوضح في بحثنا هذا أثر إحدى الرحلات العربية الإسلامية وتأثيرها العربي الإسلامي على شرق أوربا ، وهي رحلة أبي حامد الغرناطي الأندلسي ، الذي انطلق من بغداد عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م ، ودونَ لنا رحلته المسماة : (تحفة الألباب ونخبة الاعجاب) وهي غنية جداً وغزيرة بمعلومات نادرة وفريدة . فقد زار جنوب روسيا وحوض الفولجا وشرق أوربا المتمثلة حالياً بكل من : بلغاريا ، هنغاريا (المجر) وبولونيا . وكانت تلك بلاد: الخزر والصقالبة والروس والبلغار المستقرين على نهر أتل (الفولجا) ، وسجل لنا ملاحظاته عن السكان والوجود العربي الإسلامي المتمثل بأعداد كبيرة جداً من المسلمين المستقرين في تلك البلدان من المغاربة والعراقيين وأهل مكة المكرمة وغيرهم ، وذكر لهم

مساجد ومقابر وفقهاء وأئمة وعلماء دين ، وكان الغرناطي بمثابة المرشد الروحي لهم ، حيث عَلمَّهم صلاة الجمعة وأحكام شريعة الإسلام والمواريث والفقه ...إلخ وكان تأثير العرب والمسلمين كبيراً على مجتمعات شرق أوربا ، إذ انتقلت اللغة العربية وانتشرت الأسماء العربية الإسلامية بين السكان ، وتعد معلومات هذه الرحلة ووقائعها نموذجاً مثالياً للحوار العربي الإسلامي مع سكان وشعوب شرق أوربا خلال القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي ، اذ ما زالت مساجد المسلمين ومآذنهم شاخصة للعيان في تلك الربوع مقدمة مثلاً لعزة وقوة العرب والمسلمين .

أ . شخصية الغرناطي

زار بلاد البلغار بعد ابن فضلان رحالة وعلماء مسلمون ، لكن معظمهم لم يدون عنها شيئاً كثيراً ، ومن هؤلاء الرحالة العربي أبو حامد الغرناطي الذي خلف لنا رواية شاهد عيان في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، إذ زار بلاد البلغار سنة ٥٣٠ هـ /١١٣٥م ، وترك لنا بعض القصص التي نشرها المستشرق (دورن) ، وتجدر الإشارة إلى أن الغرناطي وصف لقائه بالقاضي يعقوب بن النعمان ، وذكر أن هذا القاضي ألف تاريخاً أسطورياً لقومه ، بعنوان : (تاريخ بلغار) ، لكننا لا نعرف عن هذا الكتاب شيئاً[١] .

قبل التحدث عن رحلة الغرناطي لابد لنا من التعريف بشخصيته ، فهو : أبو حامد [٢] محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع المازني القيسي الغرناطي الأندلسي الاقليشي القيرواني ، ويرد اسمه في المراجع الأدبية بصيغ مختلفة لهذه الأسماء العديدة . ولد أبو حامد سنة ٤٧٣ هـ/١٠٨٠م في مدينة غرناطة ، فعُرفَ بـ: الغرناطي لأنه ولد في إحدى مدن الأندلس الشهيرة .

أما نسبته القيسي فليست نسبة إلى قبيلة قيس عيلان بن الياس بن مضر بن نزار ، بل إلى قرية قريبة من غرناطة تسمى : قيس ، ونسبته الأخرى (الاقليشي) إلى بلدة اقليش أو اقليج ، التي ربما قضى فيها سنوات من صبوته وشبابه المبكر ، فنسب إليها[٣] .

وبخصوص حياة أبي حامد الأولى حتى مغادرته الأندلس إلى غير رجعة حوالي سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٦م في الغالب ، أي في سن السابعة والعشرين ، فهي مجهولة لدينا تماماً ، ولابد أنه درس في شبابه على شيوخ عصره وفق النظام الذي كان سائداً ومطبقاً على أبناء عصره ووطنه ، لكنه لم يكن متعمقاً في دراسة الفقه أو الأدب وما إليهما من فروع العلم الإسلامي ؛ لأننا لا نلمح في كتبه ما يدل على عمق أو إستبحار ، بل نلاحظ قصوراً واضحاً عنده في الزاد الفكري والعلمي ، في حين يبدو من كتاباته أنه كان حاد الذكاء شديد التطلع دقيق الملاحظة حسن الحديث خفيف الروح .

وليس في كتابات أبي حامد ما يشير إلى عودته إلى وطنه ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى تدهور أحواله السياسية ، فطاف بعد مغادرته الأندلس بنواحي المغرب الأقصى ، ووصل إلى سجلماسة المركز التجاري العظيم على الحدود الشمالية للصحراء الكبرى ، ومن هناك انتقل أبو حامد إلى إفريقية (تونس الحالية) . ومما يلفت النظر أنه يخلط بين مدينتي تونس والقيروان ، وأغلب الظن أن أبا حامد غادر تونس إلى الإسكندرية بطريق البحر سنة ٥١١ هـ/١١١٧م[٤] ، ووصف مشاهداته وملاحظاته عنها[٥] .

وفي سنة ٥١٢ هـ/١١١٨م انتقل أبو حامد من الإسكندرية إلى القاهرة ، وتُعرَف أيضاً بـ: " الفسطاط " ألتى بناها عمرو بن العاص ، ووصف الأهرامات وجامع عمرو بن العاص ، كما وصف الكثير من آثار مصر وعجائبها [٦] . وظل أبو حامد في مصر حتى سنة ٥١٥ هـ/١١٢١م ثم نزل في دمشق ودرس الحديث فيها ، وربما زار أثناء ذلك بعلبك وتدمر ، ووصل بغداد سنة ٥١٦ هـ/١١٢٢م ، وأقام فيها ثمان سنوات تقريباً ، وفي بغداد تَعَرف على شخصية مهمة أصبح لها شأن فيما بعد هو: يحيى بن محمد بن هبيرة قبل أن يصبح وزيراً ، إذ كان من علية الناس وكان وقتذاك شَاباً ، لأنه تولى الوزارة بعد ذلك للخليفة المقتفي لأمر الله في ربيع الأول سنة ٥٤٤ هـ/١١٤٩م ، وظل في الوزارة أيام المستنجد بالله إلى شهر جمادى الثانية سنة ٥٦٠ هـ/١١٦٥م ، وعظم أمره ولقب بـ: (سلطان العراق) .

لقي أبو حامد من يحيى بن هبيرة في بغداد كل إكرام وتقدير ، إذ أنزله في داره وفتح له أبواب مكتبته الزاخرة ، وظل إلى وفاته راعياً لهذا الرحالة الجغرافي مشجعاً له على الرحلة والتأليف مستمعاً بشوق إلى أحاديثه ، مما كان له أبعد الأثر في حياته وعمله فيما بعد . وبفضل هذه الرعاية أتيح له أن يحقق حلمه العظيم في الرحلة ومشاهدة البلاد الغريبة البعيدة التي دَوّنها في مؤلفاته ، والملاحظ عليه أنه لا يصف رحلة متصلة الحلقات بل ينتقل من عجيبة في ناحية إلى عجيبة مشابهة لها في نواحي أخرى ، ولحسن الحظ ثبَت تواريخ زياراته لبعض المواقع ورؤيته لبعض العجائب ، مما كان لها أثرها في تتبع بعض خطواته .

اتخذ الغرناطي بغداد قاعدة لرحلاته ومعظمها في هضبة بلاد فارس ، حيث وصل إلى أقصاها شرقاً ، في بلاد التركستان ثم في جنوبي روسيا وحوض الفولجا وشرق أوربا ، وبلغ في رحلاته إلى المجر (هنغاريا) ووصفها ، وقد حددت زياراته هذه مكانته كجغرافي أصيل زار بلاداً لم يزرها إلا القلائل قبله ، ووصلتنا تفاصيل غاية في المتعة والفائدة والدقة ، فضلاً عن أن حديثه لا يخلو من الخرافة والعجائب [٧] .

في سنة ٥٢٤ هـ/١١٣٠م أي بعد ثمان سنوات من نزوله بغداد كان في (أبهر) ببلاد فارس ، وقد أشار الغرناطي[٨] إلى أن السيوف كانت تحمل من هذه المدينة ومدن أخرى في بلاد فارس إلى بلاد البلغار ، إذ يقول : " فالناس يحملون من بلاد الإسلام سيوفاً تُتخذ في زنجان وأبهر وتبريز وأصفهان نُصولاً ولا يتخذون لها آلةً ولا حلية ، إلا حديداً كما يخرج من النار..." ، ثم انتقل الغرناطي إلى أردبيل ، وحديثه عن تلك النواحي النائية في شرق وشمال شرق هضبة بلاد فارس طويلاً حافلاً بالفائدة، فيه تفاصيل متنوعة عن حياة الناس وعاداتهم ووسائل عيشهم ، وقد بقي هناك ثلاث سنوات ، إذ ذكر انه التقى سنة ٥٢٨ هـ/١١٣٤م رجلاً من أهل جيلان على ساحل طبرستان اسمه : عبد الواحد بن علي ، وبعد سنتين أي في سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م نجده في مدينة بلغار[٩] ، كما سنوضح .

قضى أبو حامد الأعوام الأخيرة من حياته في مركز الخلافة ، فكان ببغداد سنة ٥٥٥ هـ/١١٦٠م ، وفي سنة ٥٥٦ هـ/١١٦١م ذهب إلى الموصل فبقي فيها عاماً استجابة لرجاء الشيخ معين الدين أبي حفص عمر بن محمد بن خضر الأردبيلي ، وهو مؤلف معروف نُسب إليه كتاب: (وسيلة المتعبدين) ، الذي كتب له أبو حامد كتابه : (تحفة الألباب) وفرغ منه في ٣ ربيع الثاني سنة ٥٥٧ هـ/٢٢مارس ١١٦٢م كما تدل على ذلك عبارة الختام ، وفي ٢٠ رمضان من السنة نفسها نُسخت نسخ كثيرة من التحفة دفعة واحدة ، وبعد الفراغ من ذلك خرج أبو حامد إلى حلب فأقام فيها سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥م ثم انتقل إلى دمشق حيث وافته المنية سنة ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م في الثانية والتسعين من عمره [١٠].

ب . رحلة الغرناطي وأثرها

دوّن أبو حامد الغرناطي رحلته إلى بلاد الخزر والبلغار والصقالبة في كتابه المعنون : (تحفة الألباب ونخبة الاعجاب) ، وقد فرغ منه في ٣ ربيع الثاني سنة ٥٥٧ هـ -كما ذكرنا ، بعد خروجه من بغداد واستقراره في الموصل في كنف صديقه الشيخ معين الدين أبي حفص عمر بن محمد بن خضر الأردبيلي مؤلف كتاب : (وسيلة المتعبدين) ، الذي أثنى عليه أبو حامد ثناءً طويلاً في فاتحة كتابه [١١].

رتب الغرناطي كتابه على مقدمة وأربعة أبواب ، فالمقدمة للبيان والتمهيد ، والأبواب لتتمة المقصود ، وهي :

الباب الأول : في صفة الدنيا وسكانها ، من إنسها وجانها .

الباب الثاني : في صفة عجائب البلدان ، وغرائب البنيان .

الباب الثالث : في صفة البحار وعجائب حيواناتها [١٢] ، وما يخرج منها من العنبر والقار وما في جزائرها من أنواع النفط والنار .

الباب الرابع : في صفة الحفائر والقبور ، وما تضمنت من القفار [١٣] إلى يوم النشور .[١٤]

وبخصوص مصادر كتابه يورد أبو حامد أسماء رواته بدقة ويتحدث عن نفسه بضمير المتكلم ، لذا يمكن التفريق بسهولة بين مصادر مادته ، وكثيراً مما يورده على لسان الغير لا يمثل في الواقع أهمية ما ؛ وذلك لسهولة تصديقه للعجائب واعتقاده فيها ، لكنه على أية حال يبذل دائماً قُصارى جهده لتوسيع نطاق معلوماته ، ويسوق لنا تفاصيل وافية عن شعوب القوقاز ، وهو الوحيد الذي تكلم عن طقوس الدفن عندهم ، ويورد الكثير من التفاصيل حول بعض الأساطير ، فكان أحد المؤلفين الذين تظفر رواياتهم بأهمية خاصة بالنسبة لشعوب شرق أوربا[١٥] .

يُعد الغرناطي أشهر الرحالة المسلمين الذين زاروا شرق أوربا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، فوصل إلى بلغار الفولجا بعد مروره ببلاد الخزر ، ورأى الغرناطي في بغداد _ وهو رجل أندلسي _ أن تكون محطته التي ينطلق منها إلى شرق أوربا ؛ نظراً لما تمثله من أهمية دينية وحضارية في نفوس المسلمين آنذاك خصوصاً القاصدين منهم ، فوصلها قادماً من دمشق سنة ٥١٦ هـ/١١٢٢م ، وأقام فيها ثمان سنوات ، تعرف فيها على شخصية من علية الناس ، هو عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة قبل أن يصبح وزيراً ، لقي على يديه كل إكرام وتقدير . مشجعاً له على الرحلة والتأليف .

بدأ الغرناطي رحلته إلى شرق أوربا سنة ٥٢٤ هـ/١١٣٠م من بغداد ، حيث وصل إلى مدن أبهر وأردبيل وأقام في هذه النواحي المتطرفة النائية في شرق هضبة بلاد فارس وشمالها الشرقي فترات متقطعة ، وتردّدَ عليها المرة بعد المرة ، حتى ذكر إنه دخل خوارزم ثلاث مرات ، ومن الطريف أنه دخل خوارزم عن طريق بلاد البلغار وجنوب روسيا ، أي أنه عبر البحر الأسود من آسيا الصغرى إلى القرم ، ثم عبر بحر آزوف واتجه شرقاً حتى وصل إلى مصب نهر الفولجا(يصب في بحر قزوين) ثم انحدر إلى شرق فارس وخوارزم ماراً ببحر الخزر (قزوين) ، ويبدو أنه ارتاح في تلك النواحي فأكثرَ الكلام عنها وعن عجائبها في مؤلفاته [١٦].

مما سبق يمكننا أن نتساءل لماذا يكون الغرناطي في المناطق الواقعة أقصى شرق بلاد فارس ويبقى فيها فترات ، ثم ينتقل بعد سنة واحدة فقط إلى مصب نهر الفولجا الذي يبعد كثيراً عن شرق بلاد فارس ؟ لعل ذلك يعود إلى رغبته في زيارة تلك المناطق والاطلاع عليها ، أو أن سبب ذلك يعود إلى الاضطراب وعدم الدقة في عرض رحلته ، أو ربما وقع خطأ في تحديد السنوات التي حددها لزيارته تلك النواحي .

تشير بعض التواريخ إلى إقامة الغرناطي في هذه النواحي أو مروره ببعض بلادها ، ففي سنة ٥٢٥ هـ/١١٣١م كان في سجسين (سقسين أو سخسين) الخزرية الواقعة عند مصب نهر أتل ، ويُعَد وصف الغرناطي (اليوم) لناحية سجسين هذه مرجعاً مهماً يُعتَمد عليه في تاريخ روسيا الوسيط ، بسبب ما تضمنه من معلومات اتصفت بالدقة التي لا تصدر إلا عن مُعاينة ، إذ يقول[١٧]: " ودَخلتُ البحر إلى بلاد الخزر ، فوصلتُ إلى نهر عظيم ، أكثر من الدجلة مرات أضعافاً مضاعفة ، كأنه بحر تخرج منه أنهار عظيمة . وعليه مدينة يقال لها سجسين ، فيها من الغُز أربعون قبيلة ، لكل قبيلة أمير على حِدة ، ولهم دُور كبار ... وفي المدينة من أمم التجار والغرباء وأولاد العرب من المغرب آلاف لا يُحصى عددهم ، وفيها جوامع يُصلى فيها الجمعة في الخزر ، وهم أمم أيضاً ، وفي وسط البلدة أمير من أهل بلغار ، لهم جامع كبير يُصلى فيه الجمعة وحوله أمم من البلغاريين ، وجامع أيضاً آخر ، فيه أمة يقال لهم أهل صوار ، وهم أيضاً كثيرون ، ويوم العيد يخرجون بمنابر كثيرة ، يُصلي كل أمير بأمم كثيرة ، ولكل أمة قضاة وفقهاء وخطباء ، والجميع على مذهب أبي حنيفة ، إلا أولاد المغاربة فإنهم على مذهب مالك ، والغرباء على مذهب الشافعي ، وداري الآن فيهم ، وأمهات الأولاد وأولادي وبناتي ".

تضمن هذا النص معلومات غاية في الأهمية توضح انتشار الإسلام في مدينة سجسين ببلاد الخزر التي كانت تعج بالتجار والغرباء من أمم شتى ، ولابد أن لموقعها أهمية خاصة كونها مدينة تجارية وملتقى التجار والعاملين في الوسط التجاري ، ويشير الغرناطي في النص إلى أن العرب كانوا يشكلون أكثرية بين سكانها لاسيما أبناء المغرب العربي الذين قدرهم بالآلاف مما يتعذر عليه تحديد عددهم ، واحتوت المدينة جوامع عديدة يصلي فيها الخزر صلاة الجمعة ، فضلاً عن وجود أمير مقيم من أهل بلغار اتخذ مكانه في وسط المدينة . ولعل ذلك يوحي بأن البلغار المسلمين في هذه المدينة كانوا يشكلون عدداً كبيراً من السكان ، بحيث استدعى وجود أمير خاص للإشراف على أحوالهم وحل مشاكلهم ، ولهؤلاء البلغار جامع كبير يؤدون فيه صلاة الجمعة ، وكان البلغار من أصول متنوعة يقيمون حول ذلك الجامع ، وهنالك جامع آخر لقوم سماهم : أهل صوار كانوا كثيرين ، ووصف لنا وصفاً رائعاً ذلك الحشد الكبير من المسلمين الذين كانوا يؤدون صلاة العيد ولهم منابر كثيرة يصلي كل أمير منهم بقومه ، ولكل قوم قضاة وفقهاء وخطباء ، مما يدلل بشكل واضح على انتشار الإسلام والقيمين عليه من القضاة والفقهاء والخطباء في هذه المدينة ، وكان الغالب على الجميع المذهب الحنفي الذي انتشر بشكل واسع في آسيا الصغرى وشرق أوربا وفي بلاد الخزر والبلغار خاصة ، في حين كان المذهب المالكي-وهو مذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة (المدينة المنورة) المتوفى سنة ١٧٩ هـ/٧٩٥م - هو المذهب الذي انتشر بشكل واسع في بلاد المغرب العربي والأندلس ، وكان مذهب العرب من أبناء تلك البلاد المقيمين بمدينة سجسين ، وهناك الغرباء الآخرون الذين كانوا يدينون بالمذهب الشافعي ، وذكر الغرناطي[١٨] مسألة مهمة جداً هي انه كان مستقراً منذ وقت في هذه النواحي ، إذ اتخذ أمهات أولاد وأنجب بنين وبنات في هذه المدينة ، وقد راقت له الإقامة هناك ، على الرغم من أنه ما يزال يشكو من شدة البرد فيها .

وقد بقي أبو حامد هناك ثلاث سنوات ، إذ ذكر أنه التقى في الخزر سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤م رجلاً من أهل جيلان على ساحل طبرستان اسمه عبد الواحد بن علي ، وبعد سنتين أي في سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م وصل مدينة بلغار ، ووصفها بأنها مدينة عظيمة ، جميعها مبنية بخشب الصنوبر ، وحولها أمم كثيرة ، ووصف طول النهار فيها إذ يصل إلى عشرين ساعة والليل أربع ساعات في الصيف ، وفي الشتاء يطول الليل إلى عشرين ساعة والنهار أربع ساعات ، بسبب موقعها إذ إنها خارجة عن الأقاليم السبعة ، والحرّ في الصيف عندهم شديد خاصة وسط النهار ويبرد الهواء في العشاء والليل ، وذكر الغرناطي أنه صامَ فيها شهر رمضان في فصل الصيف ، ويصف معاناته خصوصاً من شدةَ البرد في الشتاء ، وذكر أن ملك البلغار كان يخرج لمحاربة الكفار ، بالرغم من شدة البرد ، فيسبي نساءهم وأولادهم وبناتهم وخيلهم ، ووصف أهل بلغار بأنهم اصبر الناس على البرد ، ويعلل تحملهم له لان طعامهم وشرابهم أكثره من العسل الذي كان متوفراً ورخيصاً عندهم[١٩] .

ويتضح لنا مما ذكره الغرناطي أن مدينة بلغار هي عاصمة بلاد البلغار ، وهي إحدى مدن نهر الفولجا التي تقع عند دوائر العرض بين ٤٥ – ٥٠ شمالاً ، من خلال إشارته إلى كثرة أشجار الصنوبر وطول النهار في فصل الصيف ، مع الأخذ في الاعتبار أن شدة الحر في الصيف مسألة فيها مبالغة واضحة جداً ، وهذه الملاحظة تنطبق على توابع مدينة بلغار ـ الآتي ذكرها ـ التي تشتهر بحيوانات الفراء الثمينة حيث تصطاد وتصدر جلودها ، مثل القندز والقاقم والسنجاب الجيد ، فضلاً عن طول ساعات النهار صيفاً في مدن (ويسوا ، آرو ، يورا) وقصر ساعات الليل ، وشدة البرد وطول ساعات الليل وقصرها إلى أربع ساعات في النهار .

أشار الغرناطي إلى أثر البلغار في انتشار الإسلام وسيطرة ملكهم على الأمم المجاورة لهم ، وهي أمم كثيرة العدد كانوا يؤدون الجزية لملك البلغار ، ويضيف أن معنى بلغار ، رجل عالِم ، ويروي لنا قصة طريفة قرأها في كتاب مفقود (الآن) عنوانه : (تاريخ بلغار) بخط القاضي البلغاري[٢٠] ملخصها أن رجلاً صالحاً ، كان عالِماً من التجار المسلمين دخل إليهم ، وكان فقيهاً له معرفة وتجربة في

الطب استطاع معالجة ملك بلغار وزوجته ، وكانا مريضين يائسين من الحياة ، تداووا بأدويتهم فزادت علتهما ، فقال لهما هذا الرجل المسلم : "أن داويتكما ووجدتما الراحة ، تدخلان في ديني ؟ قالا : نعم " ، فداواهما حتى شفيا واستراحا فأسلما ، وأسلم أهل المدينة معهما ، ولما عرف ملك الخزر بذلك جهز جيوشه لمحاربتهم ، ويضيف الغرناطي أن هذا الرجل المسلم قال لهم : " لا تخافوا ، كَبروا فكانوا يرددون : الله أكبر ، ويحمدون الله ويصلون على الرسول محمد (ص) وعلى آله ، ويقاتلون مع ملكهم المسلم ، فانتصروا على ملك الخزر حتى صالَحَهم ودخل في دينهم فكان ذلك الرجل المسلم يسمى : بلار أي العالِم ، فسُميت تلك الأرض : بلار ، ومعناه : رجل عالِم ، ثم عُربت إلى بلغار "[٢١].

والواقع أن ما ورد في رواية الغرناطي يحمل كثيراً من المبالغة والمغالاة التي نقلها من الكتاب المفقود (تاريخ بلغار) للقاضي البلغاري ، والقصة تفسر دخول الإسلام إلى بلاد البلغار ، ولا تذكر أن ذلك كان في أيام الغرناطي ، بل تشير إلى مسألة سبقت رحلته ، إذ أن الإسلام كان معروفاً ومنتشراً بشكل واسع في بلاد الخزر وبلاد البلغار ، وازداد انتشاره أكثر أيام رحلة الغرناطي من خلال وجود آلاف العرب والمسلمين من أبناء بلاد المغرب العربي وغيرهم ـ كما أوضحنا ذلك .

ذكر أبو حامد توابع مدينة بلغار التي انتشر فيها الإسلام ، فهناك ويسوا ، التي تبعد عن بلغار مسيرة شهر ، كان أهلها يؤدون لملك بلغار ضريبة الخراج ، ولعلها ضريبة عن الأراضي الزراعية كما كان معمولاً بها في مؤسسات الدولة العربية الإسلامية ، أو إنها ضريبة عن النشاط الاقتصادي بما فيها التجارة بشكل عام ، وهناك ولاية أخرى تسمى : آرو ، اشتهرت بحيواناتها الثمينة التي كانت تُصطاد وتُصدر جلودها تجارياً مثل : القندز والقاقم والسنجاب الجيد ، ووُصف النهار في الصيف بطوله إذ يصل إلى اثنين وعشرين ساعة .

ووراء ويسوا ولاية اسمها : يورا ، يكون النهار فيها طويلاً جداً في الصيف ، كما أسهب في وصف تجارة السيوف التي كان يحملها التجار من بلاد الإسلام من مدن زنجان وأبهر وتبريز وأصفهان ، والمرجح مقايضتها بجلود الحيوانات الثمينة التي ذكرناها ، وكان الناس يعلقون تلك السيوف الجميلة بخيط أو بشيء من حديد أو خشب ليسُمع لها صوت دائم أثناء سيرهم ، وكانت تلك السيوف تشكل نشاطاً تجارياً واسعاً ، بحيث كان أهل بلغار يحملونها إلى أهل ويسوا وهؤلاء بدورهم يوصلونها إلى يورا ، ويبادلونها بجلود السمور وبالجواري والغلمان[٢٢] .

ذكر د . مؤنس [٢٣] أن أبا حامد الغرناطي كان يعيش من التجارة أثناء مقامه في هذه النواحي ، ويتضح ذلك من خلال اهتمامه ووصفه أنواع المتاجر وأسعارها بشكل دقيق ، وعلى الرغم من أنه لا يُصرّح بعمله هذا في التجارة ، إلا أننا لا نتصور أنه يقيم ويؤسس له أسرة وله أمهات أولاد معتمداً على ما كان يقدمه له صديقه عون الدين يحيى بن هبيرة من بغداد ، ويتضح لنا أنه كان يخلط كثيراً في معلوماته التجارية التي يقدمها بحديث العجائب والأساطير الكثيرة التي ترد في كتب الرحلات . وعملية اشتغال أبي حامد في التجارة ذات أهمية له ، فهي تُوفر لديه المزيد من المعلومات عن أقوام شرق أوربا ، فضلاً عن أنها فرصة مناسبة له للقيام بتعريف الناس بمبادئ الإسلام ومحاولة نشرها بينهم .

وصف أبو حامد رحلته في شرق أوربا موضحاً العلاقات بين البلغار والأمم الأخرى ، ومما يستدعي النظر أن أبا حامد يخبرنا بوفاة ولدٍ له (لم يذكر اسمه) في بلغار لم يستطع دفنه ، بسبب اشتداد البرد فيها ، فإذا مات لأحد ميت لا يستطيع أن يدفنه ستة شهور ، لان الأرض تكون كالحديد ، لا يمكن أن يُحفر فيها قبر ، وكانت وفاة ولده آخِر الشتاء ، ولم يستطع دفنه فبقي في البيت ثلاثة أشهر كأنه الحجر حتى دفنه[٢٤] .

غادر الغرناطي بلغار وَركب سفينة في نهر الصقالبة ، ووصف ماءه بأنه أسود كأنه الحبر ، ومع ذلك كان حُلواً طيباً صافياً يعيش فيه حيوان مثل السنور الصغير ، له جلد أسود ، سماه : سمور الماء ، كانت جلوده تُحمل إلى بلغار وسجسين . ووصف بلاد الصقالية بسعتها ، وانتشار الأمن بها فإذا

عامَلَ المسلم منهم أحد وأفلس الصقلابي ، يُباع هو وأولاده وداره لتسديد الدَينْ وتسليم المال للتاجر المسلم ، كما وصف الصقالبة بالشجاعة ويذكر أنه زار إحدى مدنهم المسماة : (غور كومان) وفيها من أبناء المغاربة الألوف ، يشبهون الأتراك ويتكلمون لغتهم ويرمون النشاب مثل الترك ، ويضيف أنه التقى فيها برجل من أهل بغداد اسمه عبد الكريم بن فيروز الجوهري قد تزوج من هؤلاء المسلمين ، واخبرنا الغرناطي أنه أقام لهؤلاء المسلمين صلاة الجمعة وعلمّهم الخطبة لأنهم لم يعرفوا صلاة الجمعة وخطبتها ، واضاف أن بعض أصحابه المتعلمين من المسلمين نزلوا بين هؤلاء المغاربة المسلمين[٢٥] .

واصلَ الغرناطي وصف رحلاته في شرق أوربا فزار بلاد الباشغرد (المجر-هنغاريا الحالية) ، وذكر استقرار آلاف المسلمين من أبناء المغاربة وأولاد الخوارزميين الذين كانوا يخدمون ملكها ويتظاهرون بالنصرانية ويكتمون الإسلام ، بينما كان أولاد المغاربة لا يخدمون النصارى إلاّ في الحروب ، ويعلنون إسلامهم ، وكان له دور بين هؤلاء المسلمين من المغاربة الذين أكرموه لأنه علمهم شيئاً من العلم وأطلق ألسِنة بعضهم بالعربية ، وكان يبذل الجهد معهم في الإعادة والتكرار بخصوص فرائض الصلاة وسائر العبادات واختصر لهم الحج وعلم المواريث حتى تعلموا تقسيم المواريث ، وكانوا لا يعرفون الجمعة فعلمهم (صلاة) الجمعة وخطبتها ، وأقام بينهم ثلاث سنين[٢٦] .

كانت لأبي حامد مكانة رفيعة في بلاد الباشغرد ، فكان أشبه بالرئيس الروحي للمسلمين ، يتصدى للدفاع عنهم والوساطة بينهم وبين ملك الباشغرد . وللدلالة على المركز الكبير الذي وصل إليه عند هذا الملك ، إنه لما استأذنه لمغادرة بلاده إلى بلاد المسلمين (إلى سجسين) ، التي ترك فيها أولاده وأهله وأخبره الغرناطي أنه سيعود إليه إن شاء الله ، طلب منه الملك أن يترك ابنه حامد عنده ، وصحب الغرناطي رجلاً يسمى إسماعيل بن حسن (كان تلميذاً له) ، وهو من أولاد أمراء المسلمين الشجعان الذين كانوا يظهرون دينهم في بلاد الباشغرد ، وقد سلّمه الملك كتاب توصية إلى ملك الصقالبة ختمه بالذهب الأحمر الذي فيه صورة الملك ، وطلب الملك فيه أن يرسل له ملك الصقالبة عدداً من ضعفاء فقراء المسلمين والأتراك الذين يُحسنون رمي النشاب وفَعَل ذلك أبو حامد إذ وصل إلى بلاد الصقالبة وأكرمه ملكها ، وبقي فيها فصل الشتاء ثم خرج إلى بلاد الأتراك متوجهاً إلى سجسين ، (وخرج معه رجلُ اسمه عبد الكريم بن فيروز الجوهري ، الذي سبق أن ذكر أنه التقاه ببلاد الصقالبة في مدينة غوركومان ، وإنه من أهل بغداد) وقد خرجت معه زوجته وولدها من بلاد الصقالبة وتركها في سجسين ثم رجع إلى بلاد الصقالبة ، وجمع الغرناطي لذلك الرسول جماعة من المسلمين الذين يُحسنون رمي النشاب ، وأرسل معهم تلميذاً من أصحابه ممن يحفظ الشريعة ، وأخبرهم بأنه سيذهب إلى الحج ويعود إليهم إن شاء الله على طريق قونية . ولما غادر هؤلاء بلاد الصقالبة متجهين إلى بلاد باشغرد ، ركب الغرناطي البحر الأسود في شهر ودخل ارض خوارزم التي وصلها أواخر سنة ٥٤٥ هـ/١١٥٠م[٢٧] .

ونستنتج من خلال ماذكره الغرناطي أنه سلك طرقاً مختلفة عند زيارته مدينة سجسين بعد وصوله مدينة غوركومان ببلاد الصقالبة ، وترك أسرته في سجسين ، ثم رجع إلى بلاد الصقالبة ، وهذا يعنى أن طريق الذهاب والعودة كانت من وإلى بلاد الصقالبة ، كما أنه ركب هذه المرة البحر الأسود متوجهاً إلى أرض خوارزم ، ولعل هذه إحدى زياراته خوارزم . إذ سبق وأن ذكر أنه زارها عن طريق بحر الخزر (قزوين) ، وأكد في رحلته أنه زار بلاد خوارزم ثلاث مرات ـ كما ذكرنا ، وذكر أن سجسين كانت تابعة تارة إلى بلاد البلغار وأخرى إلى بلاد خوارزم ، ولعل ذلك يعود إلى تغير السيطرة عليها بين تلك القوى .

وصل أبو حامد خوارزم ووصف أهلها بأنهم فضلاء شعراء نبلاء ، وكان خطيبها الموفق بن أحمد المكي ، الذي اخبر الغرناطى انه اجتمع بالمولى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، ووصفه له بقوله : " ما رأيت في الوزراء والمحتشمين أفضلْ ولا أديْن ولا أكرم من الوزير عون الدين" [٢٨] .

وذكر الغرناطي أنه كان يتردد عَليهِ في خوارزم رجل من خدم الوزير اسمه عبد الواحد بن فيروز الجوهري ـ لعله أخو عبد الكريم الذي التقى به ببلاد الصقالبة وغادرها معه إلى سجسين ببلاد

خوارزم - كما التقى الغرناطي في بلاد خوارزم والمُرجح في سجسين بالذات بالشيخ الفقيه محمود الشافعي إمام أهل السُنّة[٢٩] .

لم يطل مقام الغرناطي هذه المرة في خوارزم ، إذ خرج سنة ٥٤٦ هـ/١١٥١م لأداء فريضة الحج ، ماراً ببخارى ومرو ونيسابور والري واصفهان والبصرة في الغالب ، وبعد أداء فريضة الحج اتجه إلى بغداد حيث استقبله الوزير عون الدين ابن هبيرة وأنزله في داره ، ولم يستقر أبو حامد في بغداد طويلاً ، لأنه كان يُريد اللحاق بأسرته وابنه حامد في باشغرد ، فطلب من الوزير عون الدين أن يتوسط له لدى مسعود الأول سلطان سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ، ليأذن له في اجتياز بلاده إلى قونية ، ويظهر أنه لم يقم بهذه الرحلة بعدما سأل بعض الناس عن طريق قونية ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى كبر سِنِه ، فبقي في بغداد [٣٠]. وهذا يعني أنه لم يعد إلى بغداد في الطريق التي سلكها في بداية رحلته منها ، أي أن طريق عودته لم يكن من شرق وشمال شرق بلاد فارس كما بدأ أولاً .

أشاد الغرناطي بموقف الوزير ابن هبيرة ومساعدته السخية له ، وأطلق عليه الألقاب والكنى المعظمة ، إذ يقول[٣١]: " وقد أعانني المولى الوزير عون الدين ، جلال الإسلام ، صفي الإمام ، شرف الأنام ، معز الدولة ، مجير الأمة ، تاج الملوك والسلاطين ، سيد الوزراء ، صدر الشرق والغرب ، مصطفى الخلافة ، ظهير أمير المؤمنين ـ أدام الله بنعمته كبت أعادي دولته ـ وأوصل إليّ من خِلَعهِ الشريفة ومالِهِ وأفضالهِ ما عُجِزَ عن عَدّهِ وحَصْرِهِ " .

ونستدل مما ذكره الغرناطي عن الوزير ابن هبيرة ما يُعبّر عن عظيم فضله وكبير إحسانه له ، ويواصل الغرناطي بعد ذلك ذكر موقف الوزير بخصوص سفره من بغداد إلى قونية في طريقه إلى خوارزم ، فقد حصل له على كتاب من حضرة الخلافة إلى صاحب قونية ابن الملك مسعود (رحمه الله) ليكون مروره فيها في طريقه إلى باشغرد ، وليُسّهل الله عليه طريق عودته ، لكنه لا يوضح لنا هل سافر فعلاً أم تَردَدَ وأجّلَ هذا الموضوع كما ذكر د . مؤنس[٣٢] ؛ بسبب كِبَر سِنِه التي أقعدتهُ عن السفر .

ذكر الغرناطي[٣٣] في ختام التحفة خُلاصة رحلاته ومشاهداته ، وأشار إلى أنه ذكر بعض مشاهداته على طريق الاختصار ، ولو شرح لأطال الكتاب ، والاختصار فيه كفاية ، وأنه لولا هؤلاء الأئمة الفضلاء الذين سألوا ورغبوا في جمع هذه المادة ، لما تصدى لهذا " المجموع " إذ أنه رأى نفسه غير مؤهل للتأليف ، أي أنه لم يكن معنياً بالتأليف لرحلته هذه ، ثم اختتمها بحمد الله تعالى والصلاة على سيدِنا محمد (ص) خاتم النبيين وعلى آلهِ وأصحابهِ وأزواجهِ وذرياته أجمعين .

وألف الغرناطي مؤلفاً آخر هو : (المُعرب عن بعض عجائب المغرب) ، دَوّن فيه رحلاته ومشاهداته ، وقد كتبه سنة ٥٤٦ هـ/١١٥١م وأهداه إلى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، ويبدو من نص الكتاب أنه أول مؤلفاته ، فليس فيه إشارة إلى كتاب سابق له[٣٤] .

أما كتابه الثاني: (تحفة الألباب ونخبة الاعجاب) فقد فرغ من تأليفه سنة ٥٥٧ هـ/١١٦٢[٣٥] ، ثم خرج إلى حلب فأقام فيها سنة ٥٦٠ هـ/١١٦٥م،ثم انتقل إلى دمشق حيث أدركته المنية فيها سنة ٥٦٥ هـ/١١٧٠م ،عن عمر يناهز الثانية والتسعين .

تلك هي حياة هذا الرحالة الطلعة الذي قضى عمره يجوب الآفاق ويرمي بنفسه في المخاطر ، فغامرَ في بلاد خارج دار الإسلام باحثاً عن الجماعات الإسلامية المتناثرة في مساحات شاسعة ، مُتخذاً لنفسه داراً وأهلاً في سجسين ، ثم صعد نهر الفولجا حتى وصل إلى مدينة بلغار عاصمة أمة البلغار ، ثم يوغل في بلاد الصقالبة (الروس) فيزورعاصمتهم (كييف) ويخترق الأرض إلى سهل المجر (هنغاريا)[٣٦] ، وهناك يتخذ بيتاً وأهلاً وينشر العربية بين جماعات المسلمين ويُعلمهم شرائع الإسلام ، ثم يعود خلال هذا الطريق الطويل حتى يصل بغداد ماراً ببخارى ومرو والري ، ولم يقعده كِبر السن عن الحج إلى بيت الله الحرام ، ويفكر بعد ذلك في العودة إلى المجر ، لكن السن تقعد به فيستقر في الموصل ، ثم يمضي إلى دمشق حيث وافته المنية[٣٧] .

هوامش وتعليقات البحث

(١) بارتولد . بلغار ص ٥٩٦ ، حسن . الرحالة المسلمون ص ٣١ ، الداقوقي.دولة البلغار ص ١٩٣، ٢١٠ .

(٢) كناهُ كراتشكوفسكي : أبو حامد وأبو عبد الله ، وكان اسمه الطويل بما يصحبه من كنىً وأنساب مدعاة إلى الخلط الذي حدث أكثر من مرة. تاريخ الأدب الجغرافي العربي ق ١ / ٢٩٤ـ ٢٩٥ ، وسماه الداقوقي : ابو حامد ، وأبو عبد الله . دولة البلغار ص ١٩٦ .

(٣) كراتشكوفسكي . تاريخ الأدب الجغرافي العربي ق ١ / ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ، مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص٣٠٣ ، ٣٠٥ـ ٣٠٦ ، الداقوقي. دولة البلغار ص ، ١٩٦ ، ٢١٠ ، العبادي. العلاقات ص١٢٥ .

(٤) ذكر قاسم وهب ان الغرناطي غادر الاندلس سنة ٥١١ ، دون الرجوع إليها ، تحفة الالباب ص ١١ / المقدمة ، وذكر كراتشكوفسكي ان أولى رحلاته إلى مصر سنة ٥٠٨ هـ. تاريخ الأدب الجغرافي العربي ق ١/٢٩٥ ، وما ذكرناه اولاً هو الاقرب الى الصواب .

(٥) الغرناطي ، تحفة الالباب (دوبلر) ص ١٥ – ١٦ ، (ص ٦٨ – ٧١ ، تحرير : قاسم وهب) ، مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣٠٦ – ٣٠٨ .

(٦) عن بناء الاهرامات ووصفها ، انظر : تحفة الألباب (وهب) ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٧) مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣١٢ .

(٨) تحفة الالباب (دوبلر) ، ص ١٥ – ١٦ .

(٩) المصدر نفسه ص ٩ ، وبخصوص هذه الدراسة المختصرة والسريعة عن حياة الغرناطي ، انظر : مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣٠٩ ـ ٣١٦ ، العبادي . العلاقات ص ١٢٥ ، رحلة الغرناطي ، تحرير : قاسم وهب ص ١١ – ١٢ / المقدمة .

(١٠) انظر : مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ، كراتشكوفسكي . تاريخ الأدب الجغرافي ق ١ / ٢٩٥ ، الداقوقي . دولة البلغار ص ١٩٣ ، ١٩٦ ، وحدد حياة الغرناطي بين ٤٧٣ ـ ٥٦٤ هـ / ١٠٨٠ ـ ١١٦٩ م ، أي جعل وفاته سنة ٥٦٤ هـ ، ثم عاد فأكد وفاته بدمشق سنة ٥٦٥ هـ . المرجع نفسه ص ١٩٦ .

(١١) مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣٣٨ .

(١٢) في رحلة الغرناطي (تحرير : قاسم وهب ص ١٢) ، كان العنوان : في صفحة البحار وعجائب حيواناتها ، وفي مقدمة الرحلة بقلم : قاسم وهب ص ١٢ ، كان العنوان : في صفة البحار ، وعجائب حيواناتها ، وما يخرج منها من العنبر والقار .

(١٣) في رحلة الغرناطي (تحرير : قاسم وهب ص ٩٩) ، كان العنوان : في صفة الحفائر والقبور وما تضمنت من العظام الى يوم البعث والنشور ، وفي مقدمة الرحلة بقلم : قاسم وهب ص ١٢ ، كان العنوان : في صفة الحفائر والقبور ، وما تضمنته من العظام الى يوم النشور .

(١٤) انظر عن رحلة الغرناطي وعناوين ابوابها : كراتشكوفسكي . تاريخ الأدب الجغرافي ق ١ / ٢٩٥ ، مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣٣٨ .

(١٥) كراتشكوفسكي . تاريخ الأدب الجغرافي ق ١ / ٢٩٦ ـ ٢٩٧ . العبادي . العلاقات ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .
راجع عن عناوين الابواب الاربعة : تحفة الالباب ونخبة الاعجاب (تحرير : قاسم وهب) ، ص ٢٧ ، ٣٩ ، ٨١ ، ٩٩ ، مع اختلاف عنواني البابين الثالث والرابع – كما ذكرناه وبخصوص مادة الابواب الاربعة التي تضمنتها رحلته ،؟ راجع ص ٢٧ – ١٢١ .

(١٦) مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣١٠ ـ ٣١٤ ، العبادي . العلاقات ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .
ذكر الغرناطي (الرحلة ، تحرير : قاسم وهب ص ٧٦) انه دخل مدينة ابهر سنة ٥٢٤هـ ، ونزل عند القاضي الامام ابي اليسر عطاء بن نبهان ، وكان من اصحاب الشيخ الامام ابي اسحاق الشيرازي الشافعي ، ووصف القاضي لبي اليسر بأنه عالماً صالحاً كريماً فاضلاً .

(١٧) تحفة الألباب ص ٥ ـ ٦ ، راجع أيضاً : مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣١٤ ـ ٣١٥ .
ذكر الحموي عن نهر (اتل) أنه اسم نهر عظيم شبيه بدجلة في بلاد الخزر ، ويمر ببلاد الروس والبلغار ، وقيل : اتل قصبة بلاد الخزر ، والنهر مسمى بها . معجم البلدان مجلد ١ ص ١١١ .

(١٨) تحفة الألباب (دوبلر) ص ٧ ، انظر ايضاً : مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣١٤ ـ ٣١٥ ، الداقوقي . دولة البلغار المسلمين ص ٢١٨ ، العبادي . العلاقات ص ١٢٦ .

(١٩) تحفة الألباب (دوبلر) ص ٩ ، مؤنس . تاريخ الجغرافية ص ٣١٦ .
وذكر الاصطخري أن بلغار اسم المدينة وأهلها مسلمون ، فيها مسجد جامع . مسالك الممالك ص ٢٢٥ .

(٢٠) الكتاب مفقود والمرجح أن مؤلفه هو القاضي يعقوب بن النعمان ، وكان من أصحاب إمام الحرمين أبي المعالي الجويني . الغرناطي . تحفة الألباب (دوبلر) ص ١٢ ، حسن . الرحالة المسلمون ص ٣١ ، الداقوقي . دولة البلغار المسلمين ص ٢١٠ . راجع عنه هامش رقم : (١)
(٢١) تحفة الألباب (دوبلر) ص ١١ ـ ١٢ . الداقوقي . دولة البلغار المسلمين ص ٢١٠ .
(٢٢) المصدر نفسه ص ١٣ ـ ١٩ .
(٢٣) تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣١٧ ، العبادي . العلاقات ص ١٢٧ .
(٢٤) مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣١٨ .
(٢٥) تحفة الألباب ونخبة الاعجاب (دوبلر) ص ٢٢ ـ ٢٦ .
(٢٦) المصدر نفسه ص ٢٦ ـ ٣٠ ، وأفاض الغرناطي في الكلام عن مللك باشغرد ولقائه مع أسرى التركمان وأسرى المسلمين لدى الروم ، كما أجرى حواراً مع ملك باشغرد حول تحريم شرب الخمر على المسلمين . انظر: التحفة (دوبلر) ص ٣١ ـ ٣٣ ، ويضيف انه ترك ابنه الأكبر حامد في باشغرد ، وكان عمره يزيد على ثلاثين سنة ، وتزوج بامرأتين من بنات المسلمين المحتشمين ورُزق أولاداً ، ووصفه بالشجاعة والفضل والذكاء في العلم . التحفة ص ٣٤ ، انظر أيضاً : مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢ ، العبادي . العلاقات ص ١٢٧ .
(٢٧) تحفة الألباب ونخبة الاعجاب ص ٢٦ ، ٣٨ـ٣٩ ، كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي ق ١ / ٢٩٥ ، مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .
(٢٨) تحفة الألباب ص ٤٠ .
(٢٩) المصدر نفسه ص ٢٦ ، ٢٩ ، ٤١ .
(٣٠) مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٢٣ ، وهذا يناقض ما ذكره الغرناطي عندما أشار باختصار إلى رحلاته بقوله : " وخرجتُ من باشغرد سنة ثلاث وخمسين [وخمسمائة] ، وخرجتُ من سجسين إلى خوارزم سنة أربع وخمسين ، وخرجتُ من خوارزم طالباً للحج في ربيع الأول سنة خمس وخمسين في شوال [؟!] ... وحججتُ وعدت إلى بغداد " . التحفة ص ٤٤ ، راجع أيضاً : مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٣٦ .
(٣١) تحفة الألباب ص ٤٤ ـ ٤٥ ، راجع أيضاً : مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٣٦ .
(٣٢) تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٢٣ .
(٣٣) تحفة الألباب (دوبلر) ص ٤٤ ـ ٤٥ ، راجع أيضاً : مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .
(٣٤) مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣١١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، انظر الدراسة المستفيضة عنه: المرجع نفسه ص ٣٢٦ ـ ٣٣٧ . والمرجح تأليفه بعد سنة ٥٤٤ هـ /١١٤٩م .
(٣٥) راجع الدراسة المستفيضة عنه في : مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٣٨ ـ ٣٥٧ ،
(٣٦) راجع أيضاً : كراتشكوفسكي . تاريخ الأدب الجغرافي العربي ق ١ / ٢٩٥ ـ ٢٩٧ .
ذكر الحموي أنه التقى بمدينة حلب بطائفة كبيرة يقال لهم : الباشغردية ، وصفهم بأنهم شقر الشعور والوجوه جداً ، كانوا على مذهب الإمام أبي حنيفة ، واخبره أحدهم أن بلادهم تقع وراء القسطنطينية في مملكة أمة من الإفرنج يقال لهم (الهنكر) ، ـ وتعني بلاد هنكاريا اليوم ـ وانهم مسلمون يقاتلون أعداء الإسلام في تلك الديار ، وان الإسلام دخل بلادهم منذ زمن طويل بواسطة سبعة انفار من المسلمين من بلاد بلغار دخلوا بلادهم وسكنوا بينهم . معجم البلدان مجلد ١ ص ٣٢٣ .
(٣٧) راجع: مؤنس . تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ، كراتشكوفسكي . تاريخ الأدب الجغرافي العربي ق ١ / ٢٩٥ . راجع هامش رقم (١٠) .

مصادر البحث ومراجعه

(١) الاصطخري،أبو إسحاق ابراهيم بن محمد ، (ت : ٣٤١ هـ).مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن، ١٩٣٧) .
(٢) بارتولد ، و . بلغار . دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٧ ، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي ود . عبد الحميد يونس ، كتاب الشعب ، (القاهرة ، د . ت).
(٣) حسن ، د . زكي محمد . الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار الرائد العربي ، (بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .
(٤) الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، (ت : ٦٢٦ هـ) معجم البلدان ،(مجلد ١ ، بيروت ، ١٩٥٥ م) .

(٥) الداقوقي ، د . حسين علي ، دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا ، مجلة المؤرخ العربي، (العدد ٢١ ، بغداد ، ١٩٨٢ م) .
(٦) العبادي ، فاضل كاظم صادق ، العلاقات التجارية والثقافية العربية الإسلامية بشرق أوربة ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي مقدمة إلى كلية الآداب / جامعة بغداد (بغداد، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م) .
(٧) الغرناطي ، أبو حامد محمد بن عبد الرحيم ، (ت : ٥٦٥ هـ) ، تحفة الألباب ونخبة الاعجاب ، باعتناء : سيزار ، أي ، دوبلر ، (مدريد ، ١٩٥٣ م) . * نشرت الرحلة اعلاه (نص دوبلر) ضمن رحلة الغرناطي ، تحرير : قاسم وهب ، ملحق (١) ، ص ١٢٥ – ١٤٩ .
نشرت رحلة الغرناطي نشرة جديدة ، تحت عنوان : رحلة الغرناطي تحفة الالباب ونخبة الاعجاب ورحلة الى اوربة وآسية ، حررها وقدم لها : قاسم وهب ، دار السويدي للنشر والتوزيع (ابو ظبي) والمؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ، الطبعة الاولى ، (بيروت ، ٢٠٠٣ م) .
(٨) كراتشكوفسكي ، أغناطيوس ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القسم الأول ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، (القاهرة ، ١٩٦٣ م) .
(٩) مؤنس ، د . حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، منشورات الزهراء للإعلام العربي ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
(١٠) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ،(مدريد ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧ م) .

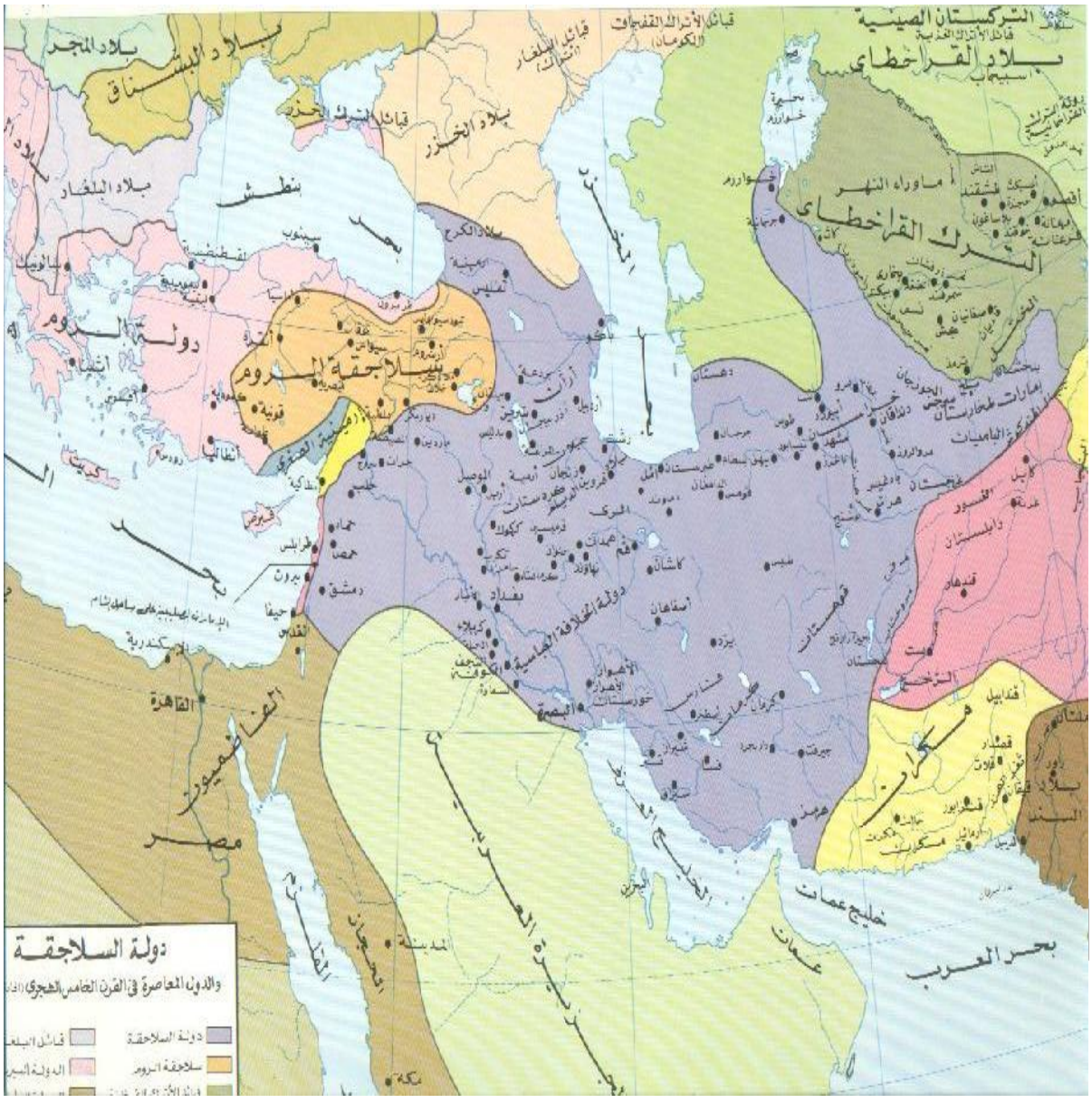

المرجع : د. حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، خريطة ١١٣، ص ٢٢٠ .

المرجع: د. حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، في عهد خوارزم شاه٥١١هـ/١١١٧م
خريطة ١١٤، ص ٢٢١